



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ
الدكتوراه اسلامي

المحاضرة الثالثة :

كسب النبي ومصادر دخله صلى الله عليه وسلم

أ.د. عدي سالم عبدالله

2025-2026

أن الحديث عن كسب الرسول صلى الله عليه وسلم يقتضي الحديث عن حياته منذ طفولته الى مماته صلى الله عليه وسلم ولكن تجنباً للإسهاب سيكون الحديث عن هذا الجانب من حياته صلى الله عليه وسلم دون التراجع الى الوراء للحديث تفصيلاً عن ظروف ولادته و رضاعه وتنشئته الأولى ثم وفاة والديه وكفالة جده ثم عمه له إذ تلك الأمور لا تخفى على طالب التاريخ الإسلامي بل وعلى كل مسلم .

تبدأ رحلة الإيواء من لحظة يتم النبي صلى الله عليه وسلم حتى إغنائه وذلك في قوله عز وجل ((ألم يجدك يتيماً فأوى)- سورة الضحى - وقال تعالى (ووجدك عائلاً فأغنى)) - سورة الضحى - ، أويث في اللغة بعدة معان ، وأويث فلانا اذا أنزلته بك ، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال ((أدعوكم الى شهادة أن لا إله إلا اللهوالى ان تؤوني وتنصروني))_البیهقي دلائل النبوة_ أي : تضموني إليكم وتحوطوني بينكم .

وقرأ الجمهور (فأوى) بمعنى رَجَمَ تقول :أويث لفلان : أي رحمته ، وجاء التعبير والله اعلم ب (فأوى) لسبب فإنه لو كان التعبير فأواك اختص الإيواء به صلى الله عليه وسلم والأمر أوسع من ذلك، فإن الله تعالى آواه ، وآوى به ، آوى به المؤمنين فنصرهم وأيدهم ودفع عنهم بل دافع عنهم عز وجل .

وعن مجاهد: قال (يتيماً) هو منت قول العرب ؛ درّة يتيمة إذا لم يكن لها مثل . فمجاز الآية والله اعلم : ألم يجدك واحداً في شرفك لا نظير لك ، فأواك الله بأصحاب يحفظونك ويحيطونك .

يبدو سبل إكرام الله تعالى له صلى الله عليه وسلم جليةً في تلك المرحلة والملح الذي نرغب تأكيده أنه صلى الله عليه وسلم هو أن النبي ومنذ ولادته كان مصدر خير مالي لجميع من حوله فقد أغناه الله و أغنى به صلى الله عليه وسلم .

ميراث النبي من والده ((أم أيمن الحبشية واسمها بركة وخمسة جمال وقطعة غنم ومولاه شقران وابنه صالحاً فأعتق الرسول أم أيمن حين تزوج خديجة فتزوجها عبيد بن زيد من الخزرج فولدت أيمن))وورث من أمه آمنة بنت وهب ((دارها التي ولد فيها بمكة في شعب علي وهذه الدار باعها عقيل بن ابي طالب بعد هجرة النبي مع الدار التي ورثها من زوجته خديجة فلما قدم مكة في حجة الوداع (10 هـ) قيل له : في أي دورك تنزل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : وهل ترك لنا عقيل من رباع))أي منزل ووطن .

وأنفق عليه جده حين ولد صلى الله عليه وسلم فرحاً بمولد على ما ورد في المصادر ((..ثم أمر - عبدالمطلب - فنحرت الجوائر وذبحت الشاء و أطعم اهل مكة ثلاثاً ثم نحر في كل شعب من شعاب مكة جزوراً لا يمنع منه إنسان و لا سبع ولا طائر))..لذلك قال ابو طالب :

وَنُطْعِمُ حَتَّى تَأْكُلَ الطَّيْرُ فَضْلَنَا

إِذَا جَعَلْتَ أَيْدِي الْمَنِيضِينَ تَرَعْدُ

وبذا يبدو ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد في عائلة ذات سيادة ويسار مهدت الطريق ليكون بين قومه سيدا يسمع قوله ويستجاب طلبه .

- كسب النبي بنفسه :

كان صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم لأهل مكة وقد روى ابو هريرة عنه قوله ((ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم)) فقال أصحابه وأنت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم ((نعم كنت أرها على قراريط لأهل مكة))- القيراط جزء الدينار - .

وعن جابر بن عبد الله قال ((لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمزّ الظهران نجني الكبّاث - وهو ثملا الأراك - ويقول : عليكم بالأسود منه فإنه أطيب فقلت : أكنت ترعى الغنم ؟ قال : وهل من نبي إلا ورعاها)) .

ومن كسب النبي في صباه نصيبه من عائد الحروب فقد شهد حرب الفجار مع أعمامه يوم نخلة وكان يناولهم السهام ويحفظ متاعهم وكان عمره نحو عشرين عام آنذاك . ولا ريب انه سُهِمَ له منها .

ومن كسبه صلى الله عليه وسلم عمله بالتجارة وهو في الثانية عشر من عمره وقيل في التاسعة اذ خرج مع عمه الى الشام بتجارة . وورد عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يتجر مع السائب بن ابي السائب المخزومي . اذ روي انه يوم فتح مكة (8هـ) جاء السائب الى النبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((مرحبا بأخي وشريكي ، كان لا يداري ولا يماري يا سائب قد كنت تعمل أعمالا في الجاهلية لا تقبل نمك وهي اليوم تقبل نمك)) . وفي رواية عن مجاهد عن قائد السائب عن السائب قال ((أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا يثنون عليّ ويذكرونني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((أنا أعلمكم)) يعني به قلت : صدقت بأبي أنت وأمي كنت شريكي فنعمة الشريك كنت لا تداري ولا تماري)) .

وعن عبدالله بن ابي الحسماء قال ((بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعده أن آتية بها بمكانه فنسيت ، ثم ذكرتُ بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه فقال ((يا فتى لقد شققت عليّ أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك)) .

وفي سن الخامسة والعشرين خرج الى الشام تاجرا بمال خديجة رضي الله عنها . فعن حكيم بن حزام بن خويلد أنه اشترى من رسول الله بَرًا من بَرّ تهامة بسوق حباشة و قدم به مكة ، فكان ذلك سببا لإرسال خديجة رضي الله عنها له صلى الله عليه وسلم مع عبدها ميسرة الى سوق حباشة ليشتريا بَرًا .

وفي هذه الشواهد خير دليل على ما تمتع به صلى الله عليه وسلم به دربة وحنكة في أمور التعاملات التجارية ولم يكن عالة - حاشاه - على احد ليتفضل عليه بالمساعدة إنما يجني رزقه ويبني ماله بعمله صلى الله عليه وسلم .

في رواية تعزز ما أوردت عن نفيسة بنت منية قالت ((لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة - وليس له بمكة اسم إلا الأمين لما تكامل فيه من خصال الخير - قال له عمه ابو طالب : يا ابن اخي أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا وألحّت علينا سنون منكرة وليست لنا مادة و لا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة ابنة خويلد تبعث رجالا من قومك في عير لها فلو تعرّضت لها . وبلغ خديجة ذلك فأرسلت اليه وأضعفت له ما كانت تعطي غيره)) .

لكن رسول الله التاجر الماهر لم يعرض لها نفسه إنما انتظر طلبها وقد استحق النبي العمل مضاربا في مال خديجة بسبب السمعة التجارية الحسنة التي كانت له صلوة الله عليه وسلم فقد كان يكسب اكثر من غيره وقد فعل ذلك بمال خديجة . فأنت رحلته تاجرا مضاربا يرافقه ميسرة فباع سلعته التي خرج بها من مكة واشترى ما أراد ان يشتري ثم اقبل قافلا الى مكة ومعه صاحبه ميسرة .

فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعف أو قريب .- سيرة لبن إسحاق المبتدأ والمبعث والمغازي -

زواجه من خديجة : تزوج الرسول من سيدة قریش نسبا وثراء وخلقا وكان مهرها متناسبا مع مكانتها ، من تمام نعمة إيواء الله تعالى له صلى الله عليه وسلم عمله الذي أقامه فيه ثم زواجه من السيدة خديجة التي كانت خير معين له كما ذكرَ النبي صلى الله عليه وسلم . عن ام المؤمنين عائشة قالت : كان النبي اذا ذكرت خديجة أتتني عليها فأحسن الثناء قالت : فغرت يوما فقلت : ما أكثر ما تذكرها ؟ حمراء الشدق ، قد أبدلك الله بها خيرا منها قال صلى الله عليه وسلم ((ما أبدلني الله عز و جل خيرا منها ، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقوني إذ كذبني الناس ، و واستني بمالها إذ حرمني الناس ، و رزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء)) .

ولم يزل الرسول صلى الله عليه وسلم يعمل بالتجارة بنفسه بعد أن نزل عليه الوحي بالرسالة وهناك العديد من الشواهد الدالة على ذلك منها ما أخرجه ابن هشام والطبري وابن ابي حاتم وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنه : أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجالا من قریش اجتمعوا عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد وكلّموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلّموك فجاءهم رسول الله سريعا فقالوا : ...إن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من

أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا... أسأل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ،ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وقصور او كنوزا من ذهب وفضة يغني كبتها عما نراك تبتغي فإنك تقوم بأسواق كما نقوم وتلتمس المعاش كما نلتمس حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ..)) ومما يدل أيضا على استمراره صلى الله عليه وسلم في التجارة ما قاله ابن القيم في الهدي النبوي : ((إن النبي صلى الله عليه وسلم باع واشترى وشراؤه أكثر وأجر وأستأجر وإيجاره أكثر وضارب وشارك ووكّل وتوكّل وتوكيله أكثر ...)) وقد بقي الرسول برهة من دهره تاجرا باع واشترى حاضرا ، ولشهرة أمره في البيع والشراء قال المشركون - كما اخبر القرآن - ((مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق)) الفرقان آية 7 فأوحى الله عز و جل إليه ((وما أرسلنا من قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق)) الفرقان آية 20 و مما يؤكد تواصل النبي مع التجارة والتجار وحضوره الى الأسواق ما رواه ابن عباس أن النبي اشترى من عير بيعا وليس عنده ثمنه فأربح فيه فتصدق بالربح على أرامل بني عبدالمطلب و قال ((لا اشترى شيئا إلا و عندي ثمنه)) . وكانت له مواقف عديدة مع التجار تؤكد ما سلف منها مثلا ما روي عن قيس بن أبي غرزة قال : كنّا على في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نسّمى - قبل أن نهاجر - السماسرة ، فمرّ بنا يوما بالمدينة فسمّانا - صلى الله عليه وسلم بأسم هو أحسن منه فقال ((يا معشر التجار إن البيع يحضره اللغو والحلف فشوبوه بالصدقة)) .و مما يدل على معرفة النبي بالأسواق ومواصفاتها واحوالها انه صلى الله عليه وسلم ذهب إلى سوق النبيط - في المدينة المنورة - فنظر إليه فقال ((ليس هذا لكم بسوق)) ثم ذهب إلى سوق فنظر إليها فقال ((ليس هذا لكم بسوق)) ثم رجع الى هذا السوق - أي السوق الذي أسسه بنفسه في المدينة المنورة - فطاف صلى الله عليه وسلم فيه ثم قال ((هذا سوقكم فلا ينتقصنّ و لا يُضربنّ عليه بخراج)) - أخرجه ابن عساكر في تاريخه والطبراني في الكبير - .

الخاتمة :

يبدو مما سبق أن الله تعالى عندما ذكّر نبيه بأنه آواه إذ وجده يتيما هيا له أسباب ذلك الإيواء من خلال نشأته في عائلة ثرية استطاعت أن تكفل له حياة رغيدة ، ثم أكرمه الله ببركة خاصة مع مرضعته ، ورعاه حين كفله جده وعمه ، و رعته زوجة عمه ، وحضنته أم أيمن ثم فتح له الله تعالى بأسباب الرزق بالرعي أولا ثم بالتجارة ثانيا ثم بالمضاربة مع خديجة

رضي الله عنها ثم تَوَّج له ذلك بزواجه منها ، واستمر ذلك الإنعام الرباني حتى بدأت مرحلة الإغناء ببدء الوحي .

ملاحظة :: المصادر مدرجة ضمن سياق النص بإختصار